الفكر اللّساني الغربيّ مقوّماته وخصائصه

قراءة وصفيّة تحليليّة

الأستاذ: عبد الرحيم البار

قسم الآداب واللّغة العربيّة كليّة الآداب واللّغات

جامعة محمّد خيضر –بسكرة–الجزائر

ملخّص باللّغة العربيّة:

يعتبر الفكر اللّساني الغربي أهمّ ما أفرزته الحضارة اللّغوية الحديثة في ظلّ عالَمٍ مسارع إلى اكتشاف النظريات المعرفية وصبغها بالطابع العلمي. فقد عرفت القارة الأوروبية نهضة علمية شملت كافة العلوم كعلوم الطبيعة والتقنية والإنسان والمجتمع، فقد سعى علماء اللّغة إلى تعميق البحث في علوم اللّغات واستخلاص منها ما يتلاءم والطابع المعرفي الحديث رغبة منهم في قراءة مكاسب اللّغة قراءة منهجية تمنحها سمة الدقة والثبت القاعدي؛ وهذا ما نلتمسه في علم اللّسانيات. وسنوضّح ذلك في دراسة وصفية تحليليّة تشمل أهم المدارس اللّسانية الغربية في جانبها النظري والتطبيقي.

Abstract in English

Western thought is the most important lingual what was produced by the modern language of civilization under the advanced world in the discovery of painted cognitive theories and scientific nature. Has the European continent known scientific renaissance included all science Kaalom nature, technical and human society, it has sought linguists to deepen research into the languages of science and draw some of which suit the character of cognitive talk; in their desire to read the language gains reading methodology granted by precision feature and bibliography baseband; and this is what we seek in linguistics.

لكلّ فكر منطلقات ولكلّ بواعث تبعات ولكل نتائج خصائص وميزات وهذه سنن كل تغيّر حاصل داخل معترك العلوم المختلفة. وعلى مرّ الزمن حافظت شتى المعارف على مكتسباتها العلميّة والفكريّة على غرار علوم اللّغة، فاللّغات مثلها مثل باقي العلوم الأخرى تندفع من منطلقات فكرية متعلقة بحياة الإنسان النّفسية والاجتماعيّة وبما يحيط بها من عوارض البيئة. فقد ألهم الإنسان العقل الذي مكّنه من تفسير غالب الظواهر التي تعترض حياة الإنسان. ولا ضير أنّ من بين هذه الظّواهر اللّغة كحادثة إنسانية ترتبط بحياة الفرد والجماعة ارتباطا إلزاميا؛ فعجّل ذلك من ظهور الأبحاث اللّغويّة على اختلاف درجاتها وصفاتها وعلى مختلف المراحل الزّمنيّة التي تساير حياة الإنسان. حيث تكوّنت فيما بعد تيّارات فكريّة لغويّة أفضت مناهج بحث تجلّت من خلالها منابع اللّغة خاصة ما ظهر في الأبحاث اللّغويّة الأوروبيّة من أعمال وإنجازات امتد أثرها إلى شتى أنحاء العالم بدءا بالدّراسات اللّغويّة التّاريخيّة وظهور المَنْهَج التّاريخي. وأتبعه المَنْهَج المقارن والدّراسات المقارنة في المراحل الأولى للنّهضة العلميّة الشّاملة داخل القارة الأوروبيّة. لتليها لاحقا الدّراسات الوصفيّة والمَنْهَج الوصفي الذي تعالت مسامعه في مطلع القرن التاسع عشر. ثمّ برز المَنْهَج البنيوي والدّراسات البنيويّة التي تزامنت مع ظهور العالم السويسري 'فرديناند دوسوسير' (Ferdinand de Saussure 1857-1913) الذي أثرى عالم اللّغات بنظراته الجديدة. فهو بلا شك صاحب أطروحة دراسة اللّغة دراسة علميّة متأثرا في ذلك بما أفضته علوم الطبيعة والرياضيات؛ فتأثر بالطابع الرياضي والعلمي الغالب على العلوم الأخرى.

ومن خلال ما تطرقنا إليه فإنّنا لا محالة نستنتج مجموعة من المقوّمات تجلّت في المبادئ التي قامت عليها الاتجاهات اللّسانيّة وبيّنت الخصائص العلميّة التي رافقت

جميع الأعمال اللّغويّة بدءا بالدّراسات التّاريخيّة والمقارنة والوصفيّة والبنيويّة تزامنا مع ظهور المدارس اللّسانيّة كالتوزيعية والوظيفية والتّوليديّة وغيرها. وعليه لا يسعنا هنا إلا حصر أهمّ هذه الخصائص والميزات التي توج بها الفكر اللّساني الغربي.

لقد اتسم الفكر اللّساني الغربي بعدّة سمات اختلفت باختلاف المراحل الزّمنيّة، وتنوعت بنوع الأعمال اللّغويّة، فالمَنْهَج التّاريخي والدّراسات التّاريخيّة توقفت على ما يلي:

-اللّسانيّات التّاريخيّة تطرح نموذجا دراسيّا جديدا في الدّراسات اللّغويّة يظهر عليه طابع التأثر بنظرية داروين (أصل الأنواع)، وبما أنّ المَنْهَج التّاريخي متأثر بهذه النّظريّة فقاعدته الدّراسيّة الأولى دراسة تطوّر اللّغات عن طريق تحديد "جمع عينّات لغوية من الأسرة الواحدة، ويسجل التطوّرات المتتالية للكلمة الواحدة عبر مختلف العصور"[1].

-الدّراسات التّاريخيّة لم تميّز بين الدّراسات اللّغويّة التّاريخيّة والدّراسات الآنية: "كان هناك خلط منهجي في البحث اللّغوي بين دراسة اللّغة دراسة تاريخية ودراسة آنية"[2].

-تأثّر المَنْهَج التّاريخي بالنظريات الفيزيائية الميكانيكية التي تعتقد بأنّ كل الحوادث والظواهر الكونية تحكمها روابط فيزيائية، وهذا ما نلحظه في قانون تطوّر الأصوات الذي جاء به 'جون غريم'؛ فأصحاب الدّراسات التّاريخيّة باتوا يؤمنون بتطوّر اللّغات والظواهر اللّغويّة وهذا ما فسّره 'أوغست بوت' (August pott) 'فاللّغة في نظره دائمة التغيّر والتحوّل'. ومن مميّزات اللّسانيّات التّاريخيّة اعتمادها على مناهج إجرائية معيّنة:

أ-المَنْهَج المقارن (The comparative Méthode): يعتبر أسمى منهج في الدّراسات التّاريخيّة وهو المحرّك الأساس في الدّراسات اللّغوية آنذاك؛ فهو يعتمد على دراسة صلات القرابة بين اللّغات من خلال استخلاص عيّنات لغويّة قديمة ومقارنتها بالوحدات اللّغويّة المستهدفة في الدّراسة ثمّ استقراء النتائج.

ب-منهج إعادة التركيب الداخلي (Internal Reconstruction): يهدف إلى التمييز بين مكونات اللّغة الأصلية والمكوّنات اللّغويّة الحديثة عن طريق إعادة البناء الداخلي.

ج-المَنْهَج الفيلولوجي (The philologique Méthode): وظيفته دراسة النّصوص عبر إجراء مقارنة بين المقاطع المختارة من النصوص المكتوبة.

الحاصل أنّ الدّراسات التّاريخيّة وسمت بعدّة خصائص أهمّها التأثر بالنظريّات العلميّة كنظرية 'داروين' كما أنّها عمدت إلى استخدام مناهج معيّنة في الدّراسات اللّغويّة بدءا بالمَنْهَج المقارن ومنهج التركيب الداخلي والمَنْهَج الفيلولوجي. وبعد وقوفنا على المَنْهَج التّاريخي نأتي إلى المَنْهَج البنيوي:

جاءت البنيويّة كتوجه علمي جديد يتخذ نمطا تحليليّا خاصا في دراسة اللّغة وهي نتاج أعمال دوسوسير وفيها:

-تركيزها على مفهوم البنية والنّظام في دراسة اللّغة، وتهتم بالجانب التركيبي للّغة.

-تصف نظام اللّغة بأنّه تجريدي تحكمه قواعد بنية النظام بعيدا على الطابع التّاريخي.

-تتخذ من مفهوم البنية وخصائصها المختلفة الهدف الأساس في دراسة اللّغات.

-تدرس مكونات اللّغة البنيويّة بعيدا عن جميع السياقات النفسية والاجتماعية.

-يهتم الاتجاه البنيوي بدراسات العلاقات التركيبيّة المختلفة المكوّنة لنظام اللّغة وبالأخص العلاقات الاستبداليّة والعلاقات الائتلافية وهي اتجاهان أساسيان:

أ-اتجاه أوروبيّ يهتم بدراسة العلاقات الاستبداليّة في اللّغة: وهي العلاقات التي تقع "بين الوحدات اللّغويّة التي يمكن أن تحلّ محلّ بعضها البعض في سياق واحد وبعبارة أخرى فإنّها تعكس علاقات موجودة بين علامة في جملة ما وعلامة أخرى غير موجودة في الجملة أصلا. بل موجودة في أذهاننا طبعا"[3].

ب-اتجاه أمريكيّ يهتم بدراسة العلاقات الائتلافية للّغة: يتوفر هذا النّوع من العلاقات بين المكوّنات الصوتيّة كدلالة صوت اللّفظة الواحدة على دلالة أصوات الجملة، وفي هذا الصدد يرى دوسوسير أنّ الكلمات تكتسب علاقات قائمة على صفة اللّغة الخطيّة بدافع الترابط فيما بينها، وهذا يمنع من إمكانية لفظ عنصرين اثنين في وقت واحد.

وعلى غرار البنيويّة ظهرت اللّسانيّات الوصفيّة على يد 'فرانز بوعز' (Franz boas 1858-1942). ولاشكّ أنّ هذا الاتجاه يمثل رؤية جديدة تهدف لبلورة دراسة علميّة تعتمد على مبدأ الوصف كركيزة تحليليّة لشتى الدّراسات اللّغويّة فالمَنْهَج الوصفي "يعنى بدراسة الاستعمال اللّغوي في زمان بعينه ومكان بعينه"[4]، يقف عند الخصائص التالية:

-يقولون بمبدأ النسبيّة في وصف وتحديد الظواهر اللّغويّة ولا توجد مسلّمة مطلقة لأيّة لغة كانت؛ فالمثالية اللّغويّة في نظرهم ضرب من الخيال يرفضه العقل.

-تأثرت المدرسة الوصفيّة بالجانب السلوكي خاصة بنظريّة واطسون (Watson) في علم النّفس وتجلّى ذلك مع العالم اللّغوي الكبير 'ليونارد بلومفيلد' ؛ (bloomfield

1887–1949) باعتباره رائدا للمنهج الوصفي الذي اعتمد طريقة خاصة في دراسة اللّغة سميت 'المَنْهَج الآلي' (Mechanistic).

–يعتقد الوصفيون بعدم وجود نظريّة لغويّة ثابتة فالنّظريّة "الصّحيحة عند الوصفيين تكمن في عدم وجود نظريّة للّغة"[5] دائمة الاعتبار.

–تقوم الدّراسة اللّسانيّة الوصفيّة عندها بتحليل وتفسير الخصائص الماديّة لكلّ لغة كما هي مستعملة في الواقع ضمن إطار زمنيّ ومكانيّ منظّم ومحدّد.

بعد وقوفنا على أهمّ مميزات وخصائص المناهج الغربيّة التي اعتبرت منبعا قويا ومحرّكا فعليّا للعمل اللّغوي الحديث والذي تجلّى في المدارس اللّسانيّة الكبرى والتي نتوقف عندها هنا بذكر أهم الخصائص والمميزات التي رافقت أعمالها وقواعدها التطبيقيّة:

نبتدئ بمدرسة براغ (Prague) اللّسانيّة وأهم ما يميّزها:

–تتبنّى هذه المدرسة الفكر اللّساني الذي جاء به 'فرديناند دوسوسير' خاصة ما يتعلّق في التمييز بين 'الدّراسات التّزامنيّة' و'الدّراسات التّعاقبيّة'.

–تهتم بدراسة النصوص الشعريةّ وهذا ما قدمه جاكبسون في كتابه 'أسئلة في الشعرية'.

–اهتموا أصحابها بدراسة الجانب الوظيفي (Fonction) للّغة وظهر عندهم مفهوم اللّغة في المجتمع ومفهوم اللّغة داخل التركيب ومفهوم اللّغة الجمالية.

–اللّغة في نظرهم "نظام من وسائل التعبير تخدم غرض التواصل المتبادل"[6]، وتولي اهتماما بالغا بالجانب الصوتي للّغة. وظهرت عندهم مصطلحات مهمّة مثل مصطلح: الفونولوجيا (Phonologie).

–ترى مدرسة براغ أنّ "اللّغة نظام من الوظائف وكلّ وظيفة نظام من العلامات"[7].

–ابتكر أصحابه قاعدة عرفت باسم 'منظور الجملة الوظيفي' FonctionnelSentence) (Perspective الذي جاء به 'ماثيزيوس' (Vilem mathesius 1882–1945) وتطوّر فيما بعد ليصبح منهجا "استعملته مدرسة براغ لتحليل الجمل حسب مضمونها الإخباري"[8]، وبتعبير آخر هو دراسة كيفية استعمال المعلومات في الجملة انطلاقا من المحتوى المعنوي الدلالي النسبي لموضوع الخبر البلاغي.

وننتقل إلى المدرسة التوزيعية (Distributionnalisme De Linguistique) التي أفضت معالم جديدة في اللّغويات بأفكارها وانجازاتها العملية خاصة في حقل الصوتيات ويمكننا بسط أهم المميزات العلميّة والعمليّة لدى التوزيعيين فيما يلي:

–تنظر إلى اللّغة نظرة خاصة بحسب وجهة منوالها العلمي على اعتبار أنّ موضوع الدّرس اللّساني هو "اللّغة مقابلة بالحديث"[9] وهذا منطلق التوزيعين.

–تحديد النّصوص والمقاطع اللّغويّة كأحداث معيّنة لها إطار مكاني وزماني محدّد.

–تتبع منهجا معينا في تحليل المقاطع الصوتيّة ولها السبق في التأسيس لمصطلح 'المؤلف' (Constituant) بحيث أنّ التوزيعيين يحلّلون المقطع الصوتي من اللّفظ إلى المورفيم ثمّ المؤلف كمرحلة أخيرة في التحليل.

–تقوم الدّراسة الصوتيّة وفق مخطّط مرتب قوامه "يكتب المسموع كتابة صوتية يراعى فيها التنغيم والنبر والمقطع والهدف هو البحث على الفوارق الصوتيّة المترابطة لتكوين

الوحدات الصوتيّة الوظائفية الدنيا (الفونيم) وإدراجها في نظام صوتي يعكس ويمثّل حقيقة اللّغة"[10].

-لاشكّ أيضا من أنّ أعمال التوزيعيين لم تخل من الأثر النّظري لعلم النّفس السّلوكي وخاصة ما وجد عند 'هاريس'.

-وتهدف هذه المدرسة إلى استعمال "الطريقة الشّكليّة للوصول إلى المكوّنات المباشرة والمكوّنات النهائية"[11]. فهذا الاتجاه له أطروحاته الخاصة لدراسة اللّغة دراسة علميّة.

وبعد المدرسة التوزيعية نجيء إلى مدرسة كوبنهاجن اللّغويّة التي تأسّست عام 1931م على يد 'لويس هيلمسلف' (1899م-1965م) الدّانمركي واللّغوي'فيجو بروندال' (1887م-1942م). ونأتي هنا لتلخيص أهم مبادئ هذه المدرسة:

-يظهر على المدرسة تأثّرها بأعمال دوسوسير وببعض النظريّات الفلسفيّة كنظريّة 'أرسطو' في فلسفة المنطق.

-اعتمادها مبدأ التقابل في الدّراسات التحليلية خاصة في الجانب الصرفي والدلالي.

-تنظر إلى اللّسان على أنّه شكل له وصفه الخاص.

-تلحّ على تدقيق دراسة المضمون لأنّه يمثّل الحقيقة في تسهيل فهم عملية التواصل اللّغوي عبر منافذ تحليليّة مباشرة تبحث في مضامين الكلام وإرهاصات المعنى.

-أصحاب هذا الاتجاه اللّساني يولون "اهتمامهم الصريح باستعمال إجراءات المنطق الرّمزي في تفسير المادة اللّغويّة"[12].

-تبنّت نظريّة 'الغلوسيماتيك' التي تهدف إلى استعمال منهج إجرائي غايته تحقيق دراسة لسانيّة وفق نظام مرتّب ومنسجم.

-من مميّزات هذه المدّرسة أنّها استفادت من كتب المفكّر اللّغوي "لويس هيلمسلف' الثلاثة وهذه الكتب:

-كتاب 'مبادئ النحو العام' تاريخ الصدور 1928م.

-كتاب 'محاولة في نظريّة المورفيمات' تاريخ الصدور 1936م.

-كتاب'مقدّمة في نظريّة النحو' تاريخ الصدور 1943م.

-تهدف مدرسة كوبنهاجن إلى دراسة اللّغة دراسة علميّة ترمي من خلالها إلى "إقامة لسانيّات علميّة مبنيّة على أسس رياضيّة ومنطقيّة وكليّة (Universal) تعنى بوصف الظواهر اللّغويّة وتحليلها وتفسيرها بطريقة موضوعيّة"[13].

وبعد الحديث على مدرسة كوبنهاجن اللّغويّة نأتي هنا على ذكر المدرسة الوظيفيّة (Fonctionnalisme) وهي الأخرى قطب لسانيّ بارز حقّق كثيرا من الإنجازات العلميّة أسهمت في إثراء حقل اللّسانيّات. ونلخّص أهمّ خصائصها وميزاتها في النقاط التاليّة:

-انطلاقها إلى دراسة الجانب الوظيفي للّغة باعتباره قناة تواصل وتفاهم بين الأفراد لتحقيق أواصل البيئة الاجتماعيّة.

-تقف عند دراسة المعنى فهو قوام الدّراسة في نظرها ووسيلة تحليليّة هامة "تتخذ المعنى قياسا هاما في تحليلها للنصوص اللّغويّة"[14].

-ظهر عندها مفهوم 'الاقتصاد اللّغوي' الذي اعتمد كوسيلة ناجعة في الدّراسات التحليليّة التي تبنّتها المدرسة الوظيفيّة. وبما أنّ المدرسة الوظيفيّة تؤمن بأنّ الوظيفة الرئيسيّة للّغة هي التّواصل، فقد فعّلت عنصر (الاقتصاد اللّغوي) في كامل أعمالها

وبات من أهمّ القواعد التي اعتمدت عليها في التّحليل اللّغوي. والاقتصاد اللّغوي نوضّح مفهومه الإجرائي بأنّه: "يقع بين متضادين في النّشاط اللّغوي: الميل إلى الرّاحة وإلى بذل أقل جهد ممكن، والحاجة إلى التّواصل وإعطاء الحدّ الأقصى من الأخبار والمعلومات"[15].

–يعتمد هذا الاتجاه اللّساني على مبادئ التّحليل اللّغوي التي جاء بها (أندري مارتيني) وهذا الأخير ينطلق في تحليله من التعريف الذي صاغه للجملة: "أنّها كل عبارة ترتبط جميع وحداتها بمسند وحيد أو بمسندات مترابطة"[16].

–يؤمن أنصار الوظيفيّة بأنّ اللّغات قائمة على الدّور الوظيفي التواصلي، وهو برأيهم الوظيفة الأساسية حيث يقول مارتيني "تفهم اللّغة الإنسانيّة منوجهة النّظر الوظائفية"[17] وتقوم بنقل الأخبار بشكل "معلومات عن العالم الخارجي وكثير ما نعرفه من معلومات بلغنا عن طريق اللّغة"[18].

–تعتمد المدرسة الوظيفيّة في تحليلها للّغة على نظريّة النتاج الوظيفي التي جاء بها مارتيني "النتاج الوظيفي للتقابل الصوتي من أهمّ المفاهيم الأساسية التي اعتمد عليها مارتيني لتفسير التغييرات الصوتيّة كما يعتبر مفهوم التّقطيع المزدوج من المبادئ الأساسيّة التي بنى عليها آراءه"[19].

–الفونيم يتحدّد معناه الصوتي من خلال وظيفته "في إحداث تغيير في المعنى سلبا أو إيجابا"[20]؛ أي في الأبعاد المعنويّة.

ونقف هنا عند خصائص مدرسة لندن باعتبارها توجها لسانيّا مكملا للوظيفية في عالم اللّغويات الحديثة بزعامة'هنري سويت' (Henry Sweet 1845–1912)، و'دانيال جونز' (Daniel Jones 1881–1967)، و'جون فيرث' (firth Jones)

1890 – 1960 الذي أضحت إنجازاته العلميّة منطلق كلّ المهتمين بالدّراسات الوظيفية خاصة بالوظيفة الصوتيّة:

–يصفون اللّغة على أنّها نشاط معنويّ في حيّز اجتماعيّ خاص ويتحفظون على ما جاء به دوسوسير من أفكار على نحو نظام الثنائيات، ويتضح هذا في قول 'فيرث"دراستنا هي دراسة اجتماعية في جوهرها، فسوف أكفّ عن احترام ثنائية الجسم والعقل والتفكير والكلام"[21]. ويرى أصحاب هذا الاتجاه بأنّ المعنى وظيفة تتحدّد في السياق اللّغوي، وانصبت اهتماماتهم حول دراسة الأصوات الوظيفية والدلالة الصوتيّة متأثرين في ذلك بنظرية فيرث يقول 'سامسون جفري': "وقد صبت نظريات فيرث جل اهتمامها على الصوتيات الوظيفية وعلم الدلالة بشكل أساسي"[22].

–التواصل اللّغوي في نظرهم وسيلة اتصال المجتمع، ولذا فهم يلحّون على البعد الاجتماعي للّغة "إنّ التواصل مع الآخرين يمكن أن يأخذ شكل إثبات أو سؤال أو طلب أو أمر دون أن يتوقف ليكون تواصلا"[23]، ونلحظ أن التواصل اللّغوي محطة لسانية رافقت البحث اللّغوي الحديث، وأخذ اهتماما بالغا في أعمال اللّغويين على مختلف مراحلهم الزّمنيّة "اهتم اللّغويون المحدثون بالتواصل اللّغوي وغير اللّغوي اهتماما واسعا إلى درجة أنّ بعض اللّسانيين البارزين مثل دوسوسير أراد أن يخضع ما هو لسانيّ إلى ما هو غير لساني إجمالا"[24].

وأخيرا نأتي على المدرسة التّوليديّة التي ذاع صوتها شرقا وغربا، وكانت بمثابة المحرّك الأساس للسانيّات العصرية نظرا لما طرحته من أعمال لغوية كبرى أسهمت في تأجيج الدّراسات اللّغويّة وسارعت إلى مبادرة الاهتمام بكل ما يمليه منظرها ناعوم تشومسكي 'Naom Chomsky' (المولود سنة 1928م) وأتباعه منذ أواخر الخمسينيات وكباقي المدارس فإنّها تتّسم بخصائص وميزات نلخصها فيما يلي:

-تنظر للّغة على أنها ملكة لغويّة موروثة يمكن تطويرها من خلال قواعد معيّنة.

-النّحو في نظرهم آلة منتجة تحتاج إلى استعمال خاص ليمكّنها من تطوير إنتاجها.

-تشترك اللّغات في نظرهم في اكتساب صيغ لغويّة قاعديّة تمثّل لبّ اللّغة "استنتج تشومسكي أن للّغات خواصا عالميّة وهي أنّها تحتوي جميعا على جمل نموذجيّة تتفرّع عنها جمل أخرى يشترط فيها السّلامة النحويّة"[25].

-اللّغة في نظرهم ظاهرة إبداعيّة من نتاج العقل البشري، وهي تمثّل"عدد من العمليات الخلاقة العضويّة غير الآلية تتم في الذهن، ويظهر أثرها على السطح الخارجي في الأصوات والكلمات والجمل، وبها يتم التفاهم بين المتكلم والسامع"[26].

-تقوم الدّراسة التّوليديّة التحويليّة على فكرة "الإنتاجيّة في اللّغة التي بمقتضاها يستطيع المتكلم أنّ يؤلف ويفهم جملا جديدة غير متناهية لم يسبق له أن سمعها من قبل"[27].

-دعا تشومسكي إلى إعادة النّظر في قواعد النّحو الكلاسيكي، ورأى أنّ الأعمال القديمة تعيق تطوّر النّظريّة اللّسانيّة الحديثة وهذا نص قوله: "إن عدم استمرار التطوّر في النّظريّة اللّسانيّة كان قد أضرّ بها وأنّ الفحص الدقيق للنّظريّة اللّسانيّة الكلاسيكيّة ونظرية العمليات العقلية المرافقة لها قد يثبت لنا في المستقبل أنّه ذو قيمة كبيرة"[28].

وتجلّت أفكار ورؤى تشومسكي في قواعده الجدية المسمّاة 'القواعد التّوليديّة التحويلية' (Générative Grammaire Transformationnel). وتتسم قواعد النّحو التوليدي التحويلي بالطابع الرياضي الذي كان يؤمن به تشومسكي ورأى أنّه نافع للدّراسات اللّغويّة "يؤكد تشومسكي ضرورة تحديد الهويّة اللّغويّة للمعرفة اللّغويّة وأنّ الارتباط بالعلوم الرياضية حالة خاصة بنظريّة توضيحية في العقل بهدف تكوين مبادئ محددة داخل نظام لغوي مؤسسي"[29].

-ملكة اللّغة عندهم عضو من أعضاء الجسم له وظيفة بيولوجية كباقي الأعضاء "يمكن اعتبار ملكة اللّغة بشكل معقول بمثابة 'عضو اللّغة' بالمعنى الذي يتحدّث عنه العلماء عن الجهاز البصري أو جهاز المناعة أو جهاز الدوران بوصفها أعضاء من الجسم"[30].

-ظهر في أعمال تشومسكي مفاهيم لغويّة جديدة منها مفهوم البنية العميقة والسطحية ومصطلح التحويل والتوليد، وصنّف المركّبات اللّغويّة إلى ما يلي:

1-مركّب إنتاجي: "ينشئ كل جمل اللّغة؛ أي سلاسل المورفيمات المقبولة وهو 'ضمن' علم التراكيب la Syntaxe"[31].

2-مركّب فونولوجي: خاص بتحديد الصّورة الصوتيّة لكل (فونيم).

3-مركّب دلالي: يصف ويحدّد معاني الجمل.

-يقوم النّحو التوليدي التحويلي بتقسيم وتصنيف النماذج النحويّة إلى نماذج محدّدة ومنظمة "نموذج بسيط خاص بنظرية التواصل ونموذج بنية المركبات القائم على تحليل المكوّنات المباشرة ونموذج التّحويل"[32].

-خلص تشومسكي إلى مفهوم خاص بالنّظريّة اللّسانيّة أراد به رفع كل الشوائب والأفكار التي يراها غير ملائمة وتحديد صفة لغة المتكلم والنمط اللّغوي وتجلى هذا في قوله: "إن النّظريّة اللّسانيّة تعنى في المقام الأول بمتكلم مستمع مثالي في مجتمع لغوي متجانس تماما حيث يعرف هذا الشخص لغة ذلك المجتمع معرفة جيدة ويكون غير مصاب بهذه الحالات النحويّة غير الملائمة مثل قصور الذاكرة والاضطراب العقلي وعدم الانتباه..والأخطاء العفوية..وذلك عند تطبيق معرفته اللّغويّة في كل أداء فعلي"[33].

–كما يلحظ على تشومسكي تأثّره بالفلسفة العقليّة التي تسند كل أنواع المعرفة إلى نشاط العقل الإنساني وهذا على نحو ما يراه أفلاطون وديكارت وغيرهم. إلاّ أنّ الدّراسات التّوليديّة التحويليّة حقيقة غلب عليها الطابع الرياضي، كما يلحظ عنها التأثر بعلم النّفس والبيولوجيا، وظهرا تدريجيا بتطور الدّراسات اللّغويّة في هذه المرحلة.

–قسم الدّراسات التّوليديّة التحويلية إلى ثلاثة مراحل: ابتدأت المرحلة الأولى في كتابه 'البنى التركيبيّة' Structures (Syntactique) عام 1957م. والمرحلة الثانية تجلّت في كتابه 'مظاهر النّظريّة التركيبيّة' syntaxe) (Aspects of the théorie الصادر عام 1965م ثم المرحلة الثالثة انطلقت من كتابه 'دراسات الدلالة في القواعد التّوليديّة' Sémantiques in générative Gammares (Studios on) بتاريخ 1972م.

إنّ عموم نظريّات النّحو التوليدي وقواعده قد أفضت طابعا علميّا أسهم في إفادة الدّراسات اللّسانيّة الحديثة خاصة الدّراسات النحويّ. فالقواعد التّوليديّة التحويلية في التغيّرات والتطورات الأخيرة ترتبط بالدلالة والرياضيات والبيولوجيا وعلم النفس فأهّلها ذلك إلى احتلال مرتبة علميّة رائدة في اللّسانيّات.

لقد اخترت التعريج على مناهج المدارس اللّسانيّة الغربيّة المَنْهَج تلوى الأخر من أجل حصر خصائص المدارس اللّسانيّة بدقة كاملة. وهذا يساعد الدّارس اللّغوي العربي على الوقوف والاطلاع على أهم السّمات التي رافقت الدّراسات اللّغويّة الغربيّة الحديثة؛ فيزيده تمكّنا ومعرفة بمكاسب الغير ومستجداتهم، فلا شكّ أنّ هذه الأعمال تلهم البحث اللّساني العربي الحديث معطيات تؤهله للانطلاق نحو دائرة المعارف اللّغوية الحديثة ضمن عالم تسوده روح التقدّم والعصرنة، فمن خلال حصر أهمّ النّقاط التي قام عليها البحث اللّغوي الغربي عبر المراحل الزّمنيّة المختلفة؛ بات من الإمكان

التمحيص والسعي وراء الاستفادة التي تضمن للغة العربيّة مكانة مرموقة تمنح نظامها التكويني خاصية السيرورة والتطوّر المتناسب مع الطابع التراثي العربي الخاص.

الإحالات والتهميش:

(1)-أحمد مومن، اللّسانيّات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعيّة، بن عكنون، الجزائر، ط4، 2008م، ص64.

(2)-محمّد محمّد يونس علي، مدخل إلى اللّسانيّات، دار الكتاب الجديدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص14.

(3)-أحمد مومن، اللّسانيّات النشأة والتطور، ص131.

(4)-محمّد حسين آل ياسين، الدّراسات اللّغويّة عند العرب، مكتبة الحياة، بيروت، ط1، 1981م، ص375/374.

(5)-جفري سامسون، مدارس اللّسانيّات التّسابق والتّطوّر، ترجمة محمّد زياد كبة، جامعة الملك سعود، 1997م، ص77.

(6)-خليفة بوجادي، اللّسانيّات النّظريّة دروس وتطبيقات، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2012م، ص71.

(7)-Philip Davis, modern theories of language, new jersey, printice-hall, inc, 1973, P219.

(8)-David crystal, the Cambridge Encyclopedia of language, CUP, 1987,P408.

(9)-كاترين فوك وبيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللّسانيّات المعاصرة، تعريب المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م، ص38.

(10)-السّعيد شنّوقة، مدخل إلى المدارس اللّسانيّة، المكتبة الأزهرية للتراث،القاهرة، ط1، 2008م، ص103.

(11)–أحمد محمّد قدور، مبادئ اللّسانيّات، دار الفكر،دمشق، ط3، 2008م، ص306.

(12)–ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللّساني، ترجمة سعيد عبد العزيز مصلوح و وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة ط2، 2000م، ص317.

(13)– أحمد مومن، اللّسانيّات النشأة والتطور، ص159.

(14)–عبد القادر الفاسي الفهري، اللّسانيّات واللّغة العربيّة نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال للنشر، الدّار البيضاء، ج2 ط2، 1988م، ص216.

(15)–أحمد عبد العزيز دراج، الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسات العلوم اللّغويّة، مكتبة الرشد، 2000م، ص91.

(16)–سمير شريف استيتية، اللّسانيّات المجال والوظيفة والمَنْهَج، عالم الكتب الحديث،الأردن، ط2، 2008م، ص70.

(17)–خوله طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللّسانيّات، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2006م، ص86.

(18)–إميل بديع يعقوب وآخرون، قاموس المصطلحات اللّغويّة والأدبية، دار العلم للملايين، ط1، 1987م، ص7.

(19)–ينظر، الطيب دبه، مبادئ اللّسانيّات، دار القصبة، الجزائر، 2001م، ص188.

(20)–أندريه مارتينه، وظيفة الألسن وديناميتها، ترجمة نادر سراج، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت، لبنان، ط1 2009م ص145.

(21)-John firth, Synopsis of linguistic theory, studies in linguistic analysis, philo Society Special volume, Oxford, 1957, p2

(22)–جفري سامسون، مدارس اللّسانيّات التسابق والتطور، ص238.

(23)–فرديناند دي سوسور، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي ومجدي النصر، دار نعمان للثقافة، د–ت بيروت، ص22.

(24)–عبد الجليل مرتاض، اللّغة والتواصل، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، د–ت، الجزائر، ص16.

(25)–خليفة بوجادي، اللّسانيّات النّظريّة دروس وتطبيقات، ص97.

(26)–خليل أحمد عمايرة، دراسات وآراء في ضوء علم اللّغة المعاصر، عالم المعرفة ، ط1، 1987م، ص56/55.

(27)–محمّد محمّد يونس علي، مدخل إلى اللّسانيّات، ص83.

(28)-Chomsky naom, Cartesian linguistics, New York, Harper and row, 1966, p73.

(29)–تشومسكي ناعوم، اللّغة والمسؤولية، ترجمة حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرق،القاهرة، ط2، 2005م، ص46.

(30)–تشومسكي ناعوم، أفاق جديدة في دراسة اللّغة والطفل، ترجمة عدنان حسن، دار الحوار للنشر والتوزيع دمشق سوريا، ط1، د–ت، ص35.

(31)–مصطفى حركات، اللّسانيّات العامة وقضايا العربيّة، دار الآفاق، د–ت، ص83.

(32)–جرهاد هلبش، تاريخ علم اللغة الحديث، ترجمة سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1 2003م، ص479.

(33)-Chomsky naom, Aspects of the theory syntax, mouton, 1965, p3.